التَّمَسُّكُ بالسُّنَّةِ

فِي العَقَائِدِ والأَحْكَامِ

تأليف

الدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي

الأستاذ بالجامعة الإسلامية

المدينة النبوية

مكتبة الغرباء الأثرية

المدينة النبوية : ت / ٨٢٤٣٠٤٤

بسم الله الرحمن الرحيم

التمسك بالسنة
في العقائد والأحكام

الطبعة الأولى لعام ١٤١٧هـ

مكتبة الغرباء الأثرية

هاتف ٨٢٤٣٠٤٤ - ف - ٨٢٦٤١٠٦

ص ب - ١٤٤٩ - المدينة النبوية

المملكة العربية السعودية

ترخيص : ٤٥٨٠ / ك

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

فهذا جزء لطيف في التمسك بالسنة في العقائد والأحكام استخلصته من مقدمات مؤلفاتي وتحقيقاتي، وأضفت إليه إضافات مهمة لينتفع به طلبة العلم، ويتبعوا طريقة أهل السنة والجماعة في فهم الدين والعمل به، وهي كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "من طريقة أهل السنة والجماعة: اتباع آثار رسول الله ﷺ باطنا وظاهراً، واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، واتباع وصية رسول الله ﷺ حيث قال: (**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها**

بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة)".

أسأل اللّه لي ولهم التوفيق في اتباع هدي سيد المرسلين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم والحمد لله رب العالمين.

المؤلف

عفى اللّه عنه

المدينة النبوية

تم تحريره بتاريخ

٢٩/١١/١٤١٣هـ

وجوب طاعة الرسول ﷺ

لقد أوجب اللّه تعالى على المسلمين طاعة رسوله ﷺ، وأمر بها في كتابه الكريم، فقال سبحانه:

﴿وَمَآ ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾. [سورة الحشر:٧].

وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾. [سورة آل عمران:١٣٢].

وقال سبحانه: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾. [سورة الأنفال:٢٤].

وقال تعالى: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾. [سورة النساء:٨٠].

فجعل اللّه طاعة رسوله طاعةً له.

قال ابن كثير رحمه اللّه تعالى: "يخبر اللّه تعالى عن عبده ورسوله محمد ﷺ بأنه من أطاعه فقد أطاع اللّه ومن عصاه فقد عصى اللّه، وما ذاك إلا لأنه ما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى"[١].

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/٣١٩).

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [سورة آل عمران: ٣١].

فجعل اللّه حُبَّه في طاعة رسوله ﷺ وإلى غير ذلك من الآيات البينات.

وذلك لأن اللّه أنزل القرآن مُجْملاً، وجعل تبيينه و تفسيرَهُ إلى رسوله، فكان من وظيفته ﷺ أن يبيِّن القرآن بأقواله وأفعاله وتقاريره.

وقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِم وَلَعَلَّهُم يَتفَكَّرُونَ﴾ [سورة النحل: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَومٍ يُؤْمِنُونَ﴾. [سورة النحل: ٦٤].

قال الإمام الشافعي: لأن كتاب اللّه يشتمل على وجوه:

١- منها: ما أتى الكتاب على غاية البيان فيه، فلم يُحْتَج مع التنزيل فيه إلى غيره.

٢- ومنها: ما أتى على غاية البيان في فرضه، وافترض طاعة رسوله، فبين رسول اللّه عن اللّه كيف فَرْضُه، وعلى من فَرْضُه، ومتى يزول بعضُه، ويثبت ويجب.

٣- ومنها ما بينه عن سنة نبيه، بلا نص كتاب. انتهى.

وقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾. [سورة النساء:١١٣].

وقال تعالى في سورة آل عمران: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِم وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾. [سورة آل عمران:١٦٤].

فذكر اللّه الكتاب وهو القرآن الكريم، والحكمة وهي السنة المطهرة، والحمل على شيئين أولى من حملهما على شيء واحد.

يقول الإمام الشافعي: فذكر اللّه الكتاب وهو القرآن، وذكر الحكمة، فسمعت من أرضى من أهل العلم بالقرآن يقول: الحكمة سنة رسول اللّه ﷺ. انتهى[١].

واللّه تبارك وتعالى ينفي الإيمان عمن لم يحكّم الرسول ﷺ في قوله: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُم ثُمَّ لا

---

(١) الرسالة: ص٣٢-٣٣.

يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾. [سورة النساء: ٦٥].

نزلت هذه الآية الكريمة في الزبير كما رواه عنه الشيخان(١) وغيرهما: أن رجلاً من الأنصار خاصم الزبير عند النبي ﷺ في شِرَاجِ الحَرَّة التي يسقُون بها النخل. فقال الأنصاري: سَرِّحِ الماءَ يمر، فأَبَى عليه، فاختصما عند النبي ﷺ، فقال رسولُ الله ﷺ للزبير: **(اسق يا زبير: ثم أرسل إلى جارك)**، فغضب الأنصاري فقال: إنْ كان ابن عمتك؟ فتلوَّنَ وجهُ رسول الله ﷺ، ثم قال **(اسق يا زبير، ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجَدْر)**. فقال الزبير: واللّه إني لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك: **﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾**. [سورة النساء: ٦٥].

قال ابن كثير: "أي رُدُّوا الخصومات والجهالات إلى كتاب اللّه وسنة رسوله فتحاكموا إليهما فيما شجر بينكم"، **﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾**: "فدل على أن من لم يتحاكم في محل النزاع إلى الكتاب والسنة، ولا يرجع إليهما في ذلك فليس مؤمناً باللّه ولا

---

(١) البخاري: المساقاة (٥/٣٤)، ومسلم: الفضائل (٤/١٨٢٩).

باليوم الآخر"[١].

وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

(ردوا الجهالات إلى السنة).

وروى عبد الرزاق في مصنفه قال: أخبرني الثوري، عن منصور، عن إبراهيم، عن علقمة قال: قال عبد اللّه بن مسعود: (**لَعَنَ اللّه الواشماتِ والمُسْتَوْشمات والمتنمِّصات والمُتفلّجات للحسن المغيِّرات خَلْقَ اللّه**) قال: فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها: أم يعقوب، فقالت: يا أبا عبد اللّه! بلغني أنك لعنت كيت وكيت، فقال: ومالي لا ألعن من لعن رسول اللّه ﷺ، ومن هو في كتاب اللّه؟ قالت: إني لأقرأ ما بين اللوحين فما أجده! قال: إن كُنتِ قارئةً لقد وجدتيه؟ أما قرأت قوله تعالى: ﴿**وَمَآ ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا**﴾ [سورة الحشر:٧].

قالت: بلى. قال: فإنه قد نهى عنه رسول اللّه ﷺ. قال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً**

---

(١) ابن كثير (٢/٣٠٤).

مُّبِيناً﴾. [سورة الأحزاب:٣٦][١].

وأخبر اللّه سبحانه وتعالى عـن مبايعـة الصحابـة لرسـول اللّـه ﷺ فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾. [سورة الفتح: ١٠].

فأعلمهم بأن مبايعتهم لرسول اللّه ﷺ هي مبايعتهم لـه عزوجـل، لأن اللّه بعث محمدا ﷺ هاديا وبشيراً، وأنزل عليه الكتاب والحكمة: وهي السنة التي تفسر القرآن وتبينه، وتدل عليه وتعبر عنـه، كمـا قـال شيخ الإسلام في العقيدة الواسطية.

روى الدارمي عن سعيد بن جبير أنه حدث يوماً بحديث عن النبي ﷺ، فقـال رجـل: في كتـاب اللّـه مـا يخـالف هـذا، قـال: ألا أُرانـي أحدِّثك عن رسول اللّه ﷺ وتعرض فيه بكتاب اللّه. كان رسول اللّه ﷺ أعلمَ بكتاب اللّه منك[٢].

ولذا قال يحيى بن أبي كثـير: "السـنة قاضيـة علـى القـرآن، وليـس

---

(١) وأخرجـه أيضـاً مسـلم (١٦٧٨/٣) مثلـه، والبخـاري (٣٧٧/١٠) مختصـراً كلاهما عن جرير عن منصور به.

(٢) الدارمي، باب السنة قاضية على كتاب اللّه (١٤٥/١).

القرآن بقاض على السنة".

ولأن النبي ﷺ قد أوتي القرآنَ ومثلَه معه[١]، وهو سنتُه المطهرة.

روى عن المُطَّلب بن حنطب أنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: **(ما تركْتُ شيئاً مما أمركم اللّه به إلا وقد أمرتكم به، ولا تركْتُ شيئاً مما نهاكم اللّه عنه إلا وقد نهيتكم عنه)**[٢]، وهذا حديث مشهور دائر بين العلماء.

وروي معنى هذا الحديث عن الحسن بن علي أنه قال: صعد رسول اللّه ﷺ المنبر يوم غزوة تبوك، فحمد اللّه وأثنى عليه، ثم قال: **(يا أيها الناس! إني واللّه ما آمركم إلا ما أمركم اللّه به، ولا أنهاكم إلا عما نهاكم اللّه عنه، فأَجْمِلُوا في الطلب، فوالذي نفس أبي القاسم بيده إِنَّ أحدكم ليطلبه رزقُه كما يطلبه أجلُه فإن تعسَّر عليكم منه شيء فاطلبوه بطاعة اللّه عزوجل)**[٣].

---

(١) رواه أصحاب السنن وسيأتي.

(٢) أخرجه الشافعي كما في بدائع المنن (رقم٧)، ورواه ابن خزيمة في صحيحه (رقم١٠٠) من حديث علي بن حجر بإسناد حسن إلا أنه مرسل.

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٣/٨٦) وفيه عبد الرحمن بن عثمان بن إبراهيم الحاطبي وأبوه تكلم فيهما أبو حاتم وذكرهما ابن حبان في الثقات (٣/٤٢٢).

وهو من جملة التبليغ الـذي أمـر ا الله بـه رسـول اللّـه ﷺ في قولـه تعالى: ﴿**يَـا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّـكَ وَإِن لَّـمْ تَفْعَـلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**﴾ [سورة المائدة:٦٧].

وقد شهد اللّه جل ثناؤه باستمساكه بما أمره به، في قوله: ﴿**وَإِنَّـكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ [سورة الشورى:٥٢].

فهَدى رسول اللّه ﷺ هو صراط اللّه الذي أمر عبادَه باتباعه.

وروى أبو داود والترمذي وابن ماجه عن عبـد الرحمـن بـن عمـرو السلمي، وحجر بن حجر قالا: أتينا العرباض بن سارية، وهو ممن نزل فيه قوله تعالى: ﴿**وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِـدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ**﴾ [سورة التوبـة:٩٢]، فسـلمنا عليـه وقلنـا: أتينـاك زائرين وعائدين ومقتبسين، فقال العِربَاض: صلَّى بنا رسولُ اللّـه ﷺ ذات يوم، ثم أقبل علينا بوجهه، فوعظنـا موعظـةً بليغـةً، ذَرَفَـتْ منهـا العيون، ووَجِلَتْ منها القلوب، فقال رجل: يا رسول اللّه! كـأن هـذه موعظـة مُـودِّع، فمـاذا تعهـد إلينـا؟ قـال: (**أوصيكـم بتقـوى اللّـه، والسمع والطاعـة وإنْ عبـداً حبشـياً، فإنـه مـن يَعِـشْ منكـم بعـدي فسـيرى اختلافـاً كثيراً، فعليكـم بسـنتي وسـنة الخلفـاء الراشـدين**

المهديين، تمسَّكُوا بها وعضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومُحْدَثَاتِ الأمور، فإن كلَّ مُحْدَثَةٍ بدعة، وكلَّ بدعةٍ ضلالة)[١].

قال ابن رجب الحنبلي رحمه اللّه تعالى في جامع العلوم والحكم: "فيه أمر عند الافتراق والاختلاف بالتمسك بسنته وسنة الخلفاء الراشدين من بعده، والسنة هي الطريق المسلوك، فيشمل ذلك التمسك بما كان عليه هو، وخلفاؤه الراشدون من الاعتقادات والأعمال والأقوال، وهذه هي السنة الكاملة". انتهى[٢].

وروى الترمذي وابن ماجه والدارمي بإسناد حسن عن المقدام بن معد يكرب قال: قال رسول اللّه ﷺ: **(ألا هل عسى رجلٌ يبلغه الحديثُ عني وهو متكئ على أريكته، فيقول: بيننا وبينكم كتاب اللّه، فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه، وما وجدنا فيه حراماً حرمناه، وإنَّ ما حرم رسولُ اللّه كما حرَّمَ اللّه)**[٣].

---

(١) أبو داود: السنة رقم ٤٦٠٧، والترمذي (٥/٤٤)، وابن ماجه في المقدمة (٤٢) ، والدارمي (١/٥٧)، قال الترمذي: حسن صحيح.

(٢) جامع العلوم والحكم (ص٢٣٠).

(٣) الترمذي (٥/٣٨)، وابن ماجه: المقدمة (١٢)، والدارمي (١/٤٤)، قال الترمذي: حسن غريب من هذا الوجه.

وفي رواية أحمد وأبي داود: **(ألا إني أوتيت هذا الكتاب ومثلَه معه، ألا يوشك رجلٌ شبعانُ على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلُّوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرِّمُوه، ألا لا يحل لكم الحمار الأهلي، ولا كل ذي ناب من السباع، ولا لُقْطَةُ مُعَاهِد، إلا أن يستغني عنها صاحبها، من نزل بقوم فعليهم أنْ يَقْرُوه، فإن لم يَقْرُوه فله أن يعقبهم بمثل قِرَاه)**[١].

وفي الحديث دليل على أنه لاحاجة أن يعرض الحديث على الكتاب لأنه ما ثبت عن رسول اللّه ﷺ كان حجة بنفسه.

أخرج أحمد والشافعي والترمذي عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: **(نضَّرَ اللّه عبداً سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأداها، فرُبَّ حامل فقهٍ غير فقيه، ورُبَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه)**[٢].

وفي بعض طرق الحديث: **(ثلاث لا يُغِلُّ عليهن قلبُ مسلم: إخلاص العمل لله، والنصيحة للمسلمين، ولزوم جماعتهم فإن دعوتهم تحيط من ورائهم)**.

---

(١) أحمد (١٣١/٤)، وأبو داود (١٢/٥).

(٢) أحمد (٤٣٧/١)، والشافعي في الرسالة (ص٤٠١)، والترمذي (٣٤/٥). وقال: حسن صحيح.

ولقد بلغ هذا الحديث حد التواتر، فرواه عن النبي ﷺ أكثر من ثلاثين صحابياً، وهو يعد من أعظم الأحاديث التي تدل على تعاهد السنة ومذاكرتها وإبلاغها إلى الناس(١).

ودعا النبي ﷺ لمن يقوم بدراسة السنة ومذاكرتها وحفظها بالنضارة، وهي نضارة الوجه وزينته.

ومعنى آخر وهو أن يوصله اللّه تعالى إلى نُضْرة الجنة، وهي نعيمها.

قال الشافعي رحمه اللّه تعالى: فلمَا ندب رسول اللّه ﷺ إلى استماع مقالته وحفظها وأدائها، دل على أنه ﷺ لا يأمر أن يُؤدَّى عنه إلا ما تقوم به الحجة على من أُدِّيَ إليه، لأنه إنما يُؤدَّى عنه حلالٌ يُؤْتَى، وحرام يُجتنب، وحَدٌّ يُقام ومالٌ يُؤْخَذ ويُعطَى، ونصيحة في دينٍ ودنيا(٢).

---

(١) انظر تدريب الراوي (٢/١٧٩)، وقطف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة رقم (٢)، ولشيخنا العلامة عبد المحسن العباد حفظه اللّه تعالى كتاب بعنوان: "دراسة حديث نضَّر اللّه امرءا سمع مقالتي... رواية ودراية" أجاد فيه وأفاد وهو مطبوع متداول.

(٢) الرسالة (ص٤٠٢-٤٠٣).

ومن عقيدة أهل السنة والجماعة طاعة أولى الأمر في معروف

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾. [سورة النساء: ٥٩].

والطاعة: هي الامتثال المطلق، والانقياد الكامل لأمر اللّه وأمر رسوله ﷺ، وأولي الأمر من أوجب اللّه طاعتهم، هم الولاة والأمراء والعلماء، وطاعتُهم هي السمع والطاعة لهم فيما أحب أو كره في غير معصية.

ففي السنة المطهرة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ **(من أطاعني فقد أطاع اللّه، ومن يعصني فقد عصى اللّه، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني)**.

وعنه أيضاً **(عليك السمع والطاعة في عُسرك ويُسرك، ومنشطك ومكرهك، وأثرة عليك)**، رواهما مسلم في صحيحه[١].

فقد دل الكتاب والسنة على وجوب طاعة أولي الأمر لأن اللّه تعالى أمر بطاعة رسوله ﷺ، وأمر هو ﷺ بطاعة الأمير فتلازمت الطاعة وحرم الخروج عليهم.

---

(١) مسلم: كتاب الإمارة (٣/١٤٦٦، ١٤٦٧).

قال إمام أهل السنة والجماعة أبو محمد البربهاري: (ت ٣٢٩هـ) "ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين فهو خارجي، وقد شق عصا المسلمين وخالف الآثار وميتته ميتةً جاهلية.

وقال: ولايحل قتال السلطان، والخروج عليهم وإن جاروا".

وقال: ليس في السنة قتال السلطان، فإن فيه فساد الدين والدنيا. انتهى[(١)].

والله تعالى يقول: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيْعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾ [سورة آل عمران:١٠٣].

وفي الحديث الصحيح: **(من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات، فميتته جاهلية)**.

وذكر الإمام الطحاوي عقيدة أهل السنة والجماعة فقال: "ولانرى الخروج على أئمتنا، وولاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يدا من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة اللّه عزوجل فريضة ما لم يأمروا بمعصية وندعو لهم بالصلاح والمعافاة".

ويقول الإمام البربهاري: "وإذا رأيت الرجل يدعو على السلطان فاعلم أنه صاحب هوى، وإذا رأيت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح

---

(١) شرح السنة (رقم ٣٣، رقم ٣٤).

فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء اللّه".

وقال فضيل بن عياض: "لو أن لي دعوة مستجابة ما جعلتها إلا في إمام، فصلاح الإمام صلاح العباد والبلاد"[١].

ثم قال البربهارى رحمه اللّه تعالى: "فأمرنا أن ندعو لهم بالصلاح، ولم نؤمر أن ندعو عليهم وإن ظلموا وإن جاروا، لأن ظلمهم وجورهم على أنفسهم، وصلاحهم لأنفسهم وللمسلمين"[٢].

ثم قال الطحاوي رحمه اللّه تعالى: "ونتبع السنة والجماعة، ونتجنب الشذوذ والخلاف والفرقة".

والجماعة: هي جماعة المسلمين من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. فاتباعهم هدى، وخلافهم ضلال. وفيه حث على طاعة الإمام وعدم الخروج عليه، وجوب ملازمة جماعة المسلمين.

هذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة في ولاة أمور المسلمين في السمع والطاعة وعدم الخروج عليهم، لاسيما إذا كان ولي الأمر ورجال دولته يدعون إلى التمسك بالكتاب والسنة، والعقيدة الصحيحة التي كان عليها خيار هذه الأمة، ويقيمون الصلوات

---

(١) سير أعلام النبلاء (٤٣٤/٨)، وقد اشتهرت هذه المقولة عن الإمام أحمد أيضاً.

(٢) شرح السنة (١١٧).

والحدود، وينشرون الفضيلة والعدل بين العباد، والأمن والاستقرار في البلاد فيجب على جميع رعيته طاعته ومساندته، والدعاء له بالثبات والتوفيق وطول البقاء.

وأما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فالمقصود منه كما قال شيخ الإسلام: "تحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها بحسب الإمكان، فإذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مستلزماً من الفساد أكثر مما فيه من الصلاح لم يكن مشروعا"[(١)].

قال النبي ﷺ: **(دعوني ما تركتكم إنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم)**[(٢)].

معنى السنة عند المحدثين والفقهاء

والسنة لغة هي: الطريقة والأسوة.

في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) انظر الاستقامة (١/٣٣٠).

(٢) البخاري: كتاب الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، ومسلم: الحج، باب فرض الحج مرة في العمر.

(لتتبعنَّ سنَنَ الذين من قبلكم شبراً بشبرٍ وذراعاً بذراعٍ حتى لو دخلوا في جحر ضبٍّ لاتبعتموهم). قلنا يا رسول اللّه: اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟[1].

وفيه عن جرير بن عبد اللّه قال: قال رسول اللّه ﷺ: **(مَنْ سَنَّ في الإسلام سنةً حسنةً، فعُمِلَ بها بعده كُتب له مثلُ أجْرِ مَنْ عمل بها ولا يَنْقُصُ من أجورهم شيءٌ، ومن سَنَّ في الإسلام سنةً سيئةً فعمل بها بعده كُتب عليها مثلُ وِزْرِ من عمل بها ولا يَنْقُصُ من أوزارهم شيءٌ)**[2].

ففي هذا الحديث الشريف حَثّ على إحياء السنة ونشرها بين الناس، ودعوتهم إلى اتباعها والأخذ بها.

وفي اللسان: أن رسول اللّه ﷺ حَضَّ على الصدقة، فقام رجل قبيحُ السُّنَّة أي قبيح الصورة[3].

وفي صحيح البخاري قال أبو هريرة: **(فكان خُبيب هو الذي سَنَّ**

---

(١) مسلم: كتاب العلم (٤/٢٠٥٤).

(٢) المصدر السابق (٤/٢٠٥٩).

(٣) لسان العرب (١٣/٢٢٤).

الركعتين لكل امرئٍ مسلم)[(١)].

وفي موطأ الإمام مالك: قال رسول اللّه ﷺ في أمر المجوس: **(سُنّوا بهم سُنّةَ أهلِ الكتاب)**[(٢)]. أي: أسوة أهل الكتاب في أخذ الجزية منهم[(٣)].

وفي صحيح البخاري أيضاً: قال رسول اللّه ﷺ: **(أَبْغَضُ الناس مبتغٍ في الإسلام سُنّةَ الجاهلية)**[(٤)].

وأخرج الترمذي عن أبي واقد الليثي أن رسول اللّه ﷺ لما خرج إلى خيبر مرَّ بشجرة للمشركين يقال لها: "ذات أنواط" يُعلِّقون عليها أسلحتهم، فقالوا: يا رسول اللّه! اجعل لنا ذات أنواطٍ كما لهم ذاتُ أنواطٍ، فقال عليه الصلاة والسلام: **(سبحان اللّه.. هذا كما قال قومُ موسى: اجعلْ لنا إلهاً كما لهم آلهة؛ والذي نفسي بيده لتركبن سَنَنَ**

---

(١) البخاري: الجهاد (٦/١٦٦)، والمغازي (١٠/٢٨).

(٢) الموطأ: الزكاة (٤٣).

(٣) لأن المجوس أهلُ كتاب -غير التوراة والإنجيل- إلا أنهم نسوا كتابهم وبدلوه، وأذن رسول اللّه ﷺ في أخذ الجزية منهم، وجاء في الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام أخذ الجزية من مجوس هجر. انظر أحكام القرآن للشافعي ص٥٤.

(٤) البخاري: الديات (١٢/٢١٠).

من كان قبلكم)[١]. أي لتحدثن البدعات والخرافات.

وفيه أيضاً: عن ابن جرير بن عبد اللّه بن أبيه قال: قال رسول اللّـه ﷺ: **(من سَنَّ سنةَ خيرٍ فاتُّبع عليها فله أجرُهُ، ومثلُ أجور من اتبعه غيرَ منقوص من أجورهم شيئاً، ومن سنَّ سنَّةَ شرٍّ فاتُّبع عليها كان عليها وزرُهُ ومثل أوزار من اتبعه غيرَ منقوص من أوزارهم شيئاً)**[٢].

إلى غيرها من الأحاديث الكثيرة المروية في الجوامع والسنن والمسانيد وكلها تشير إلى أن السنة معناها الطريقة في اللغة.

وأما السنة اصطلاحاً:

فيختلف مفهومها باختلاف الأغراض والمقاصد، فالسنة بالنسبة إلى **القرآن على ثلاثة أقسام:**

الأول: أن تكون مُؤيِّدة وموافقة لأحكام القرآن من حيث الإجمال، كالأحاديث التي تفيد بوجوب الصلاة، وإيتاء الزكاة، وفرض الحج والصوم من غير تعرض لتفاصيل أركانها وأحكامها.

---

(١) الترمذي: أبواب الفتن (٤/٤٧٥) وقال: حسن صحيح.

(٢) الترمذي: أبواب العلم (٥/٤٣)، وأحمد (٢/٥٠٥)، قال الترمذي: حسن صحيح.

فقول النبي ﷺ: (**بُنِيَ الإسلام على خمسٍ: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاءِ الزكاة، وصومِ رمضان، وحجِّ البيت**)[1].

فهذا الحديث الشريف موافق لقول الله عزوجل: ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلَوةَ وَآتُوا الزَّكَوةَ**﴾ [سورة البقرة: ١١٠].

ولقوله سبحانه تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً**﴾ [سورة آل عمران: ٩٧].

وقوله ﷺ: (**لا يحلُّ مال امرئٍ مسلم إلا بطيب نفسه**)[2]، موافق لقول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ**﴾ [سورة النساء: ٢٩].

والثاني: ما كان مُبيِّناً لأحكام القرآن: من تقييد مطلق، أو تفصيل مجمل، أو تخصيص عام، كالأحاديث التي فصَّلَتْ أحكامَ الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والبيوع، والنكاح، وغير ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري: الإيمان رقم ٨، ومسلم: الإيمان رقم ٢٢.

(٢) صحيح بالشواهد والطرق، رواه جماعة من الصحابة منهم أبو حرة الرقاشي عن عمه، وأبو حميد الساعدي، وعمرو بن يثربي، وعبد الله بن عباس. انظر أحاديثهم في الإرواء (رقم ١٤٥٩).

هذا هو الجانب الأكبر لسنة النبي ﷺ؛ لأن اللّه بعثه مُبيناً للقرآن، ومُشرِّعاً للأحكام.

والقسم الثالث: ما دل على حُكمٍ سكت عليه القرآن، فلم يوجبه، ولم ينفه، كالأحاديث التي أثبتت حرمة الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها، وأحكام الشفعة، وتحريم أكل الحمر الأهلية، وتوريث الجدة، وغير ذلك. هكذا قسم الشافعي وابن القيم وغيرهما.

والسنة عند المُحدِّثين:

ما أُثِرَ عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو وصفٍ من أوصاف رسول اللّه ﷺ، سواء أكانت خَلْقية أو خُلُقية، قبل البعثة أم بعدها.

مثل قول علي بن أبي طالب الذي أخرجه الترمذي وغيره: **(لم يكن النبي ﷺ بالطويل ولا بالقصير، شَثْنُ الكفين والقدمين، ضَخْمُ الرأس، ضَخْمُ الكَرَاديسِ، طَويلُ المَسْرُبة، إذا مَشى تَكَفَّأ تكفُّؤاً كأنما ينحط من صَبَبٍ، لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ).**

قال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح"[١].

---

(١) الترمذي (٥/٥٩٨)، والحاكم (٢/٦٠٦)، وصححه.

قوله: (**شَثْن الكفين والقدمين**) بفتح المعجمة، وسكون المثلثة، قال ابن الأثير في "النهاية": "أي: أنهما يميلان إلى الغِلَظِ والقصر، وقيل: هو الذي في أنامله غِلَظٌ بلا قصر، ويُحمد ذلك في الرجال، لأنه أَشَدُّ لقبضهم، ويُذم في النساء".

وقوله: (**ضخم الرأس**): أي عظيمه.

وقوله: (**ضخم الكراديس**): هي رؤوس العظام، واحدها كردوس، وقيل: هي ملتقى كل عظمين ضخمين كالركبتين والمرفقين والمنكبين، أراد أنه ضخم الأعضاء.

وقوله: (**طويل المَسْرُبة**): بفتح الميم، وسكون السين، وضم الراء: الشعر الذي يكون من الصدر إلى السرة.

وقوله: (**ينحط من صبب**): أي: موضع منحدر من الأرض، يريد به ﷺ كان يمشي مشياً قوياً، ويرفع رجليه من الأرض رفعاً بائناً، لا كمَنْ يمشي اختيالاً ويقارب خطاه.

وحديث آخر: ما أخرجه مسلم والترمذي وصححه عن البراء بن عازب قال: (**ما رأيتُ من ذي لمةٍ في حُلَّةٍ حمراء أحسنَ من رسول الله ﷺ، له شعر يضرب منكبيه، بعيد ما بين المنكبين، لم يكن**

القصير ولا بالطويل)[1].

ولذا نرى أن المحدثين اهتموا بجمع شمائل النبي ﷺ، سواء في الكتب الحديثية كالجوامع والمسانيد، أو في مصنفات خاصة باسم الشمائل النبوية، وأشهرها في ذلك "شمائل الترمذي".

والسنة عند الفقهاء والأصوليين: تقتصر على ما نُقل عن النبي ﷺ مِن قول أو فعل أو تقرير، لأن جُلَّ اهتمامهم يدور حول الأوامر والنواهي؛ ليستنبطوا منها الأحكام الفقهية.

فأوصاف النبي ﷺ وأخلاقه وسيرته العطرة خارجة عن دائرة بحثهم.

والسنة بهذا المعنى مطلوبة شرعاً، والأُمة مأمورة باتباعها؛ لأنها مصدر من مصادر التشريع، ولأنها مُبيِّنة لكتاب اللّه عزوجل ومُخصِّصة له، لأن الكتاب جاء مجملاً ومعجزاً، فاقتضت حكمة اللّه العليا أن يرسل رسولاً يفسر للناس كتابه، ويوضح مراده، بقوله وفعله وتقريره؛ ليقيم الحجة على عباده، قال تعالى: **﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ**

(١) مسلم: الفضائل (١٨١٨/٤)، والترمذي (٢١٩/٤).

وَالْحِكْمَةَ﴾ [سورة الجمعة:٢].

وأخرج البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (**دعوني ما تركتكم، إنما أهْلَكَ من كان قبلكم سؤالُهُم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتُكُمْ عن شيءٍ فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بشيءٍ فأْتُوا منه ما استطعتم**)[1].

وفي سنن النسائي قال النضر بن شيبان: قلت لأبي سلمة بن عبد الرحمن: حدثني بشيء سمعتهُ من أبيك، وسمعه أبوك من رسول الله ﷺ ليس بين أبيك وبين رسول الله ﷺ أحد، قال: نعم. حدثني أبي قال: قال رسول الله ﷺ: (**إنَّ الله تبارك وتعالى فرض صيامَ رمضانَ عليكم وسَنَنْتُ لكم قيامَهُ، فمن صامه وقامه إيماناً واحتساباً خرج من ذنوبه كيومِ ولدته أمه**)[2].

وفي صحيح البخاري ومسند أحمد عن عبد الله المزني أن رسول الله ﷺ قال: (**صَلُّوا قبل المغرب ركعتين، ثم قال صَلُّوا قبل**

---

(١) البخاري (١٣/٢٥١).

(٢) النسائي (٤/٥٨)، وابن ماجه (١/٤٢١) كلاهما عن القاسم بن الفضل قال: حدثنا النضر بن شيبان به مثله. قال النسائي: وهذا خطأ والصواب أبو سلمة عن أبي هريرة.

المغرب ركعتين، ثم قال عند الثالثة، لِمَنْ شاء) قال الراوي: كراهية أن يتخذها الناس سنة(١).

حرص الصحابة على العمل بالسنة والتثبت فيها

وكان الصحابة ﷺ هم الرعيل الأول الذين ربَّاهم رسول اللّه ﷺ فتهذبت نفوسهم، وصفت قلوبهم، وكانوا ينظرون إلى النبي ﷺ كالقائد الهادي، والمرشد المربي، فيتسابقون للاقتداء به في معتقداته، وعباداته، ومعاملاته، لأنه عليه السلام أخرجهم من الضلالة والظلام إلى الهداية والنور، وكانوا يرجعون إليه في حَلِّ خصوماتهم، وقطع منازعاتهم، كما كانوا يسترشدون برأيه في الحوادث التي تقع لهم، ولم ينص عليها القرآن، لأنه ﷺ أعلم الخلق بمقاصد القرآن وتفسيره.

وقد غضب رسول اللّه ﷺ يوماً وقال مخاطباً لهم: **(إني أتقاكم لله، وأعلمكم بحدوده)** لما بلغ إليه قول رجل وهو: لست مثل رسول اللّه، يُحلُّ اللّه لرسوله ما يشاء؛ وذلك أنه أرسل زوجته إلى

---

(١) البخاري (٣/٥٩)، وأحمد (٥/٥٥).

أزواج النبي ﷺ تسأل عن حكم تقبيل الصائم لزوجته، فأخبرتها أم سلمة رضي اللّه عنها أن رسول اللّه ﷺ كان يُقبِّل وهو صائم[١].

ولذلك كان أصحابه رضي الله عنهم حرصوا على حضور مجالس النبي ﷺ حتى أن البعض كان يتناوب مع أخيه المسلم.

روى البخاري في صحيحه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: كنت أنا وجارٌ لي من الأنصار في بني أمية بن زيد. وكُنَّا نتناوب النزول على رسول اللّه ﷺ: فينزل يوماً، وأنزل يوماً، فإذا نزلْتُ جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك[٢].

ومنهم: من كان يقطع مسافات طويلة ليسأل رسول اللّه ﷺ عن حكم شرعي كما أخرج الإمام البخاري في صحيحه عن عقبة بن الحارث أنه أخبرته امرأة بأنها أرضعته هو وزوجته، فركب من فوره، وكان بمكة، قاصداً المدينة حتى أتي رسول اللّه ﷺ، فسأله عن حكم

---

(١) الشافعي في الرسالة (٤٠٤)، وأحمد في مسنده (٥/٤٣٤) وأصله في الصحيحين: البخاري مع الفتح (٩/١٥٢)، ومسلم (٢/٧٧٩).

(٢) البخاري: في العلم (١/١٨٥)، ومسلم (٢/١١١١)، والترمذي (٥/٤٢١)، وأحمد (١/٣٣)، قال الترمذي: حسن صحيح.

اللّه فيمن تزوج امرأة لا يعلم أنها أختها من الرضاع، فقال رسول اللّه: (**كيف وقد قِيلَ؟**) ففارق زوجته فوراً[١].

هكذا كان أصحاب رسول اللّه يطيعونه في حياته، ويقتدون بأوامره، وينتهون عن نواهيه، وهو حي، والقرآن ينزل.

ولم تختلف هذه الصورة التي كانوا عليها في حياته بعد مماته، فكما وجب عليهم اتباع الرسول ﷺ وطاعته في حياته وجب عليهم وعلى من بعدهم من المسلمين اتباع سنته بعد وفاته؛ لأن النصوص التي أوجبت طاعته عامة لم تُقيد بزمن حياته، كما لم تُقيد بصحابته دون غيرهم.

وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا بقوله:

(تركْتُ فيكم أمرين، لن تضلُّوا ما تمسكتم بهما: كتابَ اللّه، وسنتي)[٢].

وأخرج الإمام البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قال:

---

(١) البخاري: في العلم (١/١٨٤)، وفي الشهادات (٥/٢٥١).

(٢) رواه مالك في الموطأ في كتاب القدر بلاغاً وله شاهد بإسناد حسن عند أحمد (٣/١٤)، والطبراني رقم ٢٦٧٨، ٢٦٧٩.

قال رسول اللّه ﷺ: (**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أَبَى**) قالوا: يا رسول اللّه! ومن يأْبَى؟! قال: (**من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أَبَى**)[1].

وأخرج الإمام البيهقي في المدخل الكبير بإسناده عن حبيب بن أبي فضالة المكي: أن عمران بن حصين ذكر الشفاعة، فقال رجل من القوم: يا أبا نجيد! إنكم تحدثوننا بأحاديث لم نجد لها أصلاً في القرآن، فغضب عمران، وقال للرجل: قرأتَ القرآن؟ فقال: نعم. قال: فهل وجدْتَ فيه صلاةَ العشاء أربعاً، ووجدت المغربَ ثلاثاً، والغداةَ ركعتين، والظهرَ أربعاً، والعصرَ أربعاً؟ قال: لا، قال: فعن من أخذتم ذلك: ألستم عَنَّا أخذتموه، وأخذناه عن رسول اللّه ﷺ، أوَجدتم فيه -أي: القرآن- من كل أربعين شاةً شاة، وفي كل كذا بعيراً كذا، وفي كل كذا درهماً كذا؟ قال: لا. قال: فعن من أخذتم ذلك، ألستم عنا أخذتموه، وأخذناه عن النبي ﷺ؟ وقال: وجدتم في القرآن: ﴿**وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ**﴾ [سورة الحج: ٢٩]، أوَجدتم فيه: فطوفوا سَبعاً، واركعوا ركعتين خلف المقام؟ أوَجدتم في القرآن: (**لا جَلَبَ**

---

(١) البخاري: الاعتصام (١٣/٢٤٩)، وأحمد (٢/٣٦١).

ولا جَنَبَ ولا شِغَارَ في الإسلام؟) أما سمعتم: قال اللّه في كتابه: ﴿وَمَآ أَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [سورة الحشر: ٧].

ثم قال عمران: وقد أخذنا عن رسول اللّه ﷺ أشياء ليس لكم بها علم... انتهى(١).

وهذا الحديث رواه أبو داود في سننه باختصار، والحاكم في المستدرك(٢)، وفي إسناده حبيب بن أبي فضالة، والراوي عنه صُرَد بن أبي المنازل لم يوثقهما إلا ابن حبان(٣).

وقد كان أحدهم يسافر للتأكد من الحديث الذي سمعه من رسول اللّه ﷺ حتى لا يخطيء في روايته.

فقد خَرج أبو أيوب إلى عقبة بن عامر؛ ليسأله عن حديث سمعه

---

(١) هذا الحديث في الجزء المفقود ولذا لم أذكره في المدخل المحقق.

(٢) أبو داود (٢/٢١١)، والحاكم (١/١٠٩) وفيه: قال الرجل: أحييتني أحياك اللّه.

قال الحسن: فما مات ذلك الرجل حتى صار من فقهاء المسلمين.

(٣) انظر الثقات (٤/١٣٨) (٦/٤٧٨).

وحبيب بن أبي فضالة تابعه الحسن، وصرد بن أبي المنازل تابعه عقبة بن خالد عند الحاكم.

من رسول اللّه ﷺ، ولم يبق أحد سمعه من رسول اللّه ﷺ غيره وغير عقبة، فلما قدم فنزل على مسلمة بن مخلد الأنصاري، وهو أمير مصر، فأُخبر، فعجل عليه، فخرج إليه وعانقه، ثم قال له: ما جاء بك يا أبا أيوب؟ فقال: حديث سمعته من رسول اللّه ﷺ ولم يبق أحد ممَّنْ سمعه من رسول اللّه غيري وغير عقبة، فابعث من يدلني على منزله، قال: فبعث معه من يدله على منزله، فأُخْبِر عقبة، فعجل فخرج إليه فعانقه، فقال: ما جاء بك يا أبا أيوب؟ فقال: حديث سمعته من رسول اللّه ﷺ ولم يبق أحد سمعه من رسول اللّه غيري وغيرك في ستر المؤمن، قال عقبة: نعم سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: (**مَنْ سَتَرَ مؤمناً في الدنيا على خزية ستره اللّه يوم القيامة**). قال أبو أيوب: صدقت، ثم انصرف أبو أيوب إلى راحلته فركبها راجعاً إلى المدينة[١].

وكان أبو بكر الصديق خليفة رسول اللّه ﷺ أحرص الناس على العمل بالحديث، ويسأل دائماً أصحاب النبي ﷺ عن حديث رسول اللّه ﷺ في المسائل التي عرضت له.

(١) معرفة علوم الحديث (ص٨)، والجامع لأخلاق الراوي والسامع رقم ١٦٨٧.

روى أبو داود في "سننه" والترمذي في "جامعه" عن ابن شهاب الزهري، عن قبيصة بن ذؤيب قال: **(جاءت جَدَّةٌ إلى أبي بكر** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **تسأل ميراثها، فقال لها أبو بكر: ما أجد لك في كتاب اللّه شيئاً، وما علمْتُ في سنة رسول اللّه** ﷺ **شيئاً، فارجعي حتى أسأل، فسأل الناس، فقال المغيرة بن شعبة: حضرت رسول اللّه** ﷺ **أنه أعطاها السدس، فقال أبو بكر: هل معك أحد؟ فقام محمد ابن مسلمة، وشهد على ذلك، وقال مثل ما قال المغيرة بن شعبة، فأنفذه أبو بكر، وورَّثَ الجَدة السدس)**(١).

وجاء في حديث طويل في صحيح البخاري ومسند الإمام أحمد: **(يقول أبو بكر** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **لست تاركاً شيئاً كان رسول اللّه** ﷺ **يعمل به إلا عملت به، وإني أخشى إِنْ تركت شيئاً من أمره أن أزيغ)**(٢).

فكأنه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بطلب الإشهاد على قول المغيرة بن شعبة وضع

---

(١) أبو داود (٣/٣١٧)، والترمذي (٤/٤٢٠) وقال: حسن صحيح.

(٢) البخاري (٦/١٩٧)، وأحمد (١/٦) كلاهما عن صالح بن كيسان عن الزهري، عن عروة، عن عائشة رضي اللّه عنها.

أصلاً من أصول الدين، وهو التثبت والتأكد من سنة رسول اللّه عليه أفضل الصلاة والتسليم.

ومن هذا التثبت والتأكد ظهر علم جديد، وهو علم الجرح والتعديل، ثم صار فيما بعد هذا العلم عمدة في معرفة الحديث الصحيح من السقيم، وهو أصل من أصول الدين.

قال الإمام مالك بن أنس: "إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم، لقد أدركت سبعين ممن يقول: حدثني فلان قال: قال رسول اللّه ﷺ عند هذه الأساطين -وأشار إلى أساطين المسجد النبوي- فما أخذت عنهم شيئاً، وإن أحدهم لو أؤتمن على بيت المال لكان أميناً، وقدم علينا ابن الشهاب، فكنا نزدحم على بابه"[١].

يقول حماد بن زيد: "دخلنا على أنس بن سيرين في مرضه، فقال: اتقوا اللّه يا معشر الشباب، وانظروا عمن تأخذون هذه الأحاديث، فإنها دينكم"[٢]

وروى الإمام مسلم في مقدمة "صحيحه" بإسناده عن عاصم الأحول عن ابن سيرين أنه قال: "لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما

---

(١) التمهيد (٦٧/١).

(٢) المحدث الفاصل (ص٤١٥).

وقعت الفتنة قالوا: سَمُّوا لنا رجالَكُمْ، فينظر إلى أهل السنة فيُؤخذ حديثهم، ويُنظر إلى أهل البدع فلا يُؤخذ حديثهم"[١].

وفي رواية أخرى كما ذكرها الحافَظ ابن الأثير في مقدمة "جامع الأصول": قال ابن سيرين: "كانوا في الزمن الأول لا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتن سألوا عن الإسناد، ليأخذوا حديث أهل السنة، ويدعوا حديث أهل البدع، فإن القوم كانوا أصحاب حفظ وإتقان، ورُبَّ رجل -وإن كان صالحاً- لا يقيم الشهادة، ولا يحفظها"[٢].

وروى الحافظ ابن عبد البر في مقدمة كتابه "التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد" عن شعبة يقول: "إنما نعلم صحة الحديث بصحة الإسناد".

وروى أيضاً بإسناده عن الأوزاعي إمام أهل الشام أنه قال: "ما ذهب العلم إلا بذهاب الإسناد".

وروى الخطيب البغدادي في كتابه "الكفاية في علم الرواية": "عن

---

(١) مسلم في المقدمة (ص٨٤).

(٢) مقدمة جامع الأصول.

سفيان بن عيينة، قال لـه أخـوه: حَدِّثْهُـم بغـير إسـنادٍ، فقـال سـفيان: انظروا إلى هذا يأمرني أن أصعد فوق البيت بغير درجة".

هكذا ترى أيها القارئ الكريم كيف وضع أبو بكـر رضي الله عنه نـواةً لعلم الحديث، حتى لا يتقوَّلَ أحدٌ على الله ورسوله ﷺ.

وقد اهتم المُحدِّثون بذكر تاريخ المواليد والوفيات لـرواة الحديـث، ليتم البحث عـن أحوالهـم، ومعرفـة مـا يَدَّعُونـه مـن السـماع واللقـاء بالمشايخ، كما ضبطوا أيضاً قدوم الراوي البلد الفلاني في رحلة طلـب الحديث، وظهر مـن تدقيقهـم هـذا مؤلفـات خاصـة في ضبـط مواليـد المحدثين ووفياتهم.

وإليـه يشـير قـول سـفيان الثـوري كمـا ذكـره الخطيـب في كتابـه "الكفاية": "لما استعمل الرواةُ الكذبَ، استعملنا لهم التاريخ"[١].

يقول حفص بن غيـاث: "إذا اتهمتـم الشـيخ فحاسـبوه بالسـنين". يعني احسبوا سِنَّه وسِنَّ من كتب، عنه[٢].

يذكر ابن الجوزي في مقدمة كتابه "الموضوعـات" عـن حسـان بـن

---

(١) الكفاية (ص١١٩).

(٢) المصدر السابق.

زيد يقول: "لم يُستعن على الكذابين بمثل التاريخ، يقال للشيخ: سنة كم وُلِدْتَ؟ فإذا أقرَّ بمولده عرفنا صدقه من كذبه"[١].

قال الحاكم أبو عبد اللّه: "قدم علينا محمد بن حاتم الكَشِّي وحدَّثَ عن عبد بن حميد، فسألته عن مولده، فذكر أنه ولد سنة ستين ومئتين، فقلت لأصحابنا: سمع هذا الشيخ من عبد بن حميد بعد موته بثلاث عشرة سنة"[٢].

هكذا استطاع المحدثون بهذا الفن -وهو علم الجرح والتعديل- أن ينفوا الكذب عن أحاديث رسول اللّه ﷺ.

فعلى طالب الحق أن يحرص على اتباع السنن والآثار الصحيحة، ولا يضرب لها الأمثال، ولا يتبع الأهواء، ولا يقول: لِمَ؟ وكيف؟ ولا يبدئ كثيرا من التساؤلات إذا صح الحديث، وتلقاه أهل المعرفة بالقبول، سواء في الاعتقادات أو الأعمال، وأهل المعرفة هم المحدثون عندهم فقه خاص في فهم الحديث وتدبره وتفسيره، كالصيرفي الماهر البصير يختص بمعرفة النقود جيدها ورديئها.

يقول الإمام الأوزاعي: "كنا نسمع الحديث فنعرضه على أصحابنا

---

(١) انظر أيضاً تاريخ بغداد (٣٥٧/٧).

(٢) فتح المغيث (٢٨٢/٣)، والموضوعات (٣٧/١).

كما تعرض الدراهم الزائفة على الصيارف، فما عرفوا أخذنا وما أنكروا تركنا".

ولا يُثير الخلاف باسم التحقيق العلمي في الأمور التي عُلم من الدين بالأدلة الشرعية الصريحة من الكتاب والسنة أو الإجماع. بل الواجب فيه الإيمان به والعمل بمقتضاه، ولا يستقل في فهم النصوص بدون الرجوع إلى أقوال السلف وتفسيرهم حتى لا تكون حجةٌ في قوله لمنكري السنة وأعداء الإسلام، قال تعالى: ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُول مِن بَعد مَا تَبيّن لَهُ الْهُدَى وَيَتّبع غَيْر سَبِيل الْمُؤْمِنِينَ نوَلّه مَا تَولّى وَنُصْله جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً**﴾ [سورة النساء: ١١٥].

وأما التحقيق العلمي فليكن في الأمور التي لم تتضح أدلتها من الكتاب والسنة وفيها مجال للاجتهاد، فمن أصاب في اجتهاده فله أجران، ومن أخطأ فله أجر واحد كما جاء في الحديث الصحيح. إذا كان أهلا لذلك.

وكتب الحديث والسنة تحتوي على قسمين أساسيين

أولهما: السند.

وثانيهما: المتن.

فالسند أو الإسناد: هو الطريق الموصلة إلى المتن، ابتداء من مؤلف

الكتاب إذا كان في عصر الرواية، وانتهاء إلى رسول الله ﷺ. وأما المتن: فهو ألفاظ صادرة عن النبي ﷺ، أو بمعناها.

والسنة باعتبار وصولها إلينا تنقسم إلى متواتر وآحاد.

والمتواتر: هو في اللغة: مجيء الواحد بعد الواحد، وهو مأخوذ من الوتر.

وفي الاصطلاح: خبر جمع يستحيل عادة وعقلاً تواطؤهم على الكذب لكثرتهم ولثقتهم.

ويشترط فيه أربعة شروط:

الأول: أن يكون رواته عالمين بما أخبروا به، وجازمين، غير مجازفين ولا ظانين.

والثاني: أن يكون علمهم مستنداً إلى شيء محسوس، كمشاهدة أو سماع.

والثالث: أن يبلغ عددهم إلى مبلغ يمنع في العادة تواطؤهم على الكذب.

والرابع: أن يستمر العدد المعتبر في كل الطبقات، أي: في أوله وأوسطه وآخره[1].

---

(١) انظر: الحديث حجة بنفسه للألباني (ص١٨-١٩).

وأما الآحاد: فهو كل حديث لم يجمع فيه شروط التواتر، وقد يتفرد به واحد فيسمى غريباً، وقد يرويه اثنان فأكثر فيسمى عزيزاً، وقد يستفيض بأن يرويه جماعة فيكون مشهوراً أو مستفيضاً.

والسنة بقسميها تفيد العلم بدون فرق بين العقيدة والشريعة وكان على هذا الصحابةُ والتابعون ومن بعدهم من أهل السنة خلافاً للمبتدعة من المعتزلة وغيرهم قديماً، ولبعض الكُتّاب العصريين المتأثرين بأفكارهم حديثاً الذين قالوا: إن خبر الواحد لا يفيد العلم، ولا يوخذ به في العقيدة ولهم في ذلك شبهات غير واردة ولا صحيحة ولا معقولة.

والمقام يحتاج إلى دراسة أوسع، وهذا ليس مجاله، لذا أحيل القارئ الكريم إلى كتاب الإمام ابن القيم "الصواعق المرسلة"، فإنه ذكر فيه أوجهاً كثيرة لحجية أخبار الآحاد، كما أن للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، جزء لطيف: "الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام".

لأن علم الرواية مبني على السماع والمشاهدة، فإذا وصَفْنا الراوي بالصدق والأمانة في دينه، والضبط والإتقان في حفظه، فلا يتطرق احتمال الخطأ إلى ما يرويه، وبالتالي يحصل منه العلم إلا إذا خالفه من هو أوثق منه حفظاً وضبطاً، أو أكثر منه عدداً فيحصل العلم بالمحفوظ دون الشاذ. ونحن أمرنا بالأخذ بما قامت به الحجة.

ولم ينته الأمر عند هذا الحد فقد اجترأ بعض الباحثين من المستشرقين -من أمثال- (جولد زيهر) وأتباعهم ممن ينتسبون إلى الإسلام في معنى السنة -فظنوا أنها من باب العادات والتقاليد الموروثة من الجاهلية. واستشهدوا على ما ذهبوا إليه ببعض العادات التي أبقاها الإسلام من العادت القديمة. وقالوا: إن السنة ليست من مصادر التشريع في الإسلام؛ فإن الأوائل لم يكونوا يرجعون إليها في المسائل النازلة والفتاوى الشرعية حتى ظهر بعض المسلمين في أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث ونادوا بحجية السنة وملؤوا كتبهم بالأدلة والبراهين، وممن اشتهر في هذا العصر الإمام الشافعي فإنه قام بالرد على الإمامين السابقين أبي حنيفة ومالك"[1]. رحمهما اللّه هكذا على حد زعمهم.

---

(١) هكذا يدعي (جوزيف شاخت) في كتابه:

MOHAMMDEN JURISPRUDENCE
SUNNAH PRACTICE AND LIVING TRADITION.

JOSEPH SCHACHT وجوزيف شاخت

(١٩٠٣-٠٠٠).

يعتبر من كبار المستشرقين، وقد شغل منصب التدريس في الجامعات: اكسفورد، وليدن، وكولومبيا، والجامعة المصرية. وانتخب عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق بدراسة الإسلام وشريعته، وزعم أنه لا يوجد حديث

==

وأخذ هؤلاء المستشرقون وأذنابهم ببعض الآثار المروية في هذا الباب.

منها: قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "حسبنا كتاب اللّه"(١)

ومنها ما يرويه يزيد بن ربيعة عن أبي الأشعث، عن ثوبان مرفوعاً: "إذا جاءكم الحديث فاعرضوه على كتاب اللّه، فإن وافقه فخذوه، وإن خالفه فدعوه"، إنه حديث باطل. يزيد بن ربيعة مجهول، وأبو الأشعث لا يروي عن ثوبان.

ومنها: حديث المهلب بن أبي صفرة: ثنا ابن مناس، ثنا محمد بن مسرور القيرواني، ثنا يونس بن عبد الأعلى، عن ابن وهب، أخبرني شمر بن نمير، عن حسين بن عبد اللّه بن عبيد اللّه بن العباس عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب أن رسول اللّه ﷺ قال: (**سيأتي ناس يحدثون عني حديثاً، فمن حدثكم حديثاً يضارع القرآن فأنا قلته، ومن حدثكم بحديث لا يضارع القرآن فلم أقله. إنما هو**

==

صحيح من الأحكام الفقهية، وكان من أكبر المدافعين عن (جولد زيهر) ورسالته ضد الإسلام.

(١) سيأتي ذكره.

حُسوة من النار)[١].

وهذا أثر ضعيف بل أوهن من بيت العنكبوت أخذوا بـه دليـلاً إلى ما ذهبوا إليه، وقد قال عبد الرحمـن بـن مَهـدي: "الزنادقـة والخـوارج وضعوا هذا الحديث". وقال أبو محمد بن حزم: "الحسين بن عبـد اللّـه ساقط متهم بالزندقة"[٢]. وردِ الشافعي والبيهقـي هـذا الحديـث كليـاً، وهذه الأحاديث المكذوبة وغيرها أوردها ابن حزم ورد عليها.

أما قول عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو ما أخرجـه البخـاري عـن ابن عباس قال: لما حُضِر رسول اللّه ﷺ، وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، قال النبي ﷺ: **(هلم! أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده)** فقال عمـر: إن النبي ﷺ قـد غلـب عليـه الوجـع وعندكـم القـرآن، حسبنا كتاب اللّه[٣]. وفيه قال ابـن عبـاس: إن الرزيـة كـل الرزيـة مـا حـال بـين رسـول اللّـه ﷺ وبـين أن يكتـب لهـم ذلـك الكتـاب مـن

(١) الإحكام لابن حزم (٢/٧٦).

(٢) المصدر السابق.

(٣) البخاري (١٠/١٢٦).

اختلافهم ولغطهم[١]، هذا القول لا يدل على الاستغناء بالقرآن عن السنة؛ لأن عمر بن الخطاب أراد أن يخفف عن رسول الله ﷺ وجعه، ولهذا سكت عليه النبي ﷺ، وقد عاش بعده بأيام، ولم يرد على عمر قوله: فلما وجد التخفيف والراحة أملى عليهم كما أخرج مسلم[٢] أن رسول الله ﷺ قال في أوائل مرضه، وهو عند عائشة: **(ادعي لي أبا بكر أباك وأخاك حتى أكتب كتاباً، فإني أخاف أن يتمنى متمن" ويقول قائل: أنا أولى. ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر)**. وهذا المعنى يؤيد سلوك عمر بن الخطاب رضي الله عنه في زمن خلافته فإنه كان يحرص على الأخذ بالسنة، ويقول: سيأتي ناس يجادلونكم بشبهات القرآن فخذوا بالسنن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله عزوجل.

ومن قول (جولد زيهر) في دائرة المعارف الإسلامية تحت كلمة "الحديث" وفي كتاب MOHAMMEDEN STUDY (١:٤١) واللفظ من الدائرة: "كان السير على الآباء الأولين (السنة هي المنهج القديم

---

(١) المصدر السابق.

(٢) مسلم (٤/٨٥٧).

المأثور الذي يعتاده المرء في المبادلة والأخذ والإعطاء) حتى يعد عند الكفار من العرب فضيلة من الفضائل، ولما جاء الإسلام لم تستطع السنة أن تبقى على قديمها وهو اتباع عادات الآباء الكفار وأقوالهم، وكان لابد للمسلمين من أن ينشئوا لهم سنة جديدة. فأصبح واجباً على المؤمن أن يتخذ من خلق الرسول ﷺ وصحابته مثلاً يحتذيه في جميع أحوال معاشه.. ولهذا بذل كل جهد ممكن في سبيل جمع أخبار النبي ﷺ وصحابته"[١].

فالفكرة التي يريد (جولد زيهر) أن ينشرها هي: أن السنة ليس لها قيمة ذاتية في نفسها، بل جاءت من قبل العادات والتقاليد الجاهلية.

ثم جاء بعده (جوزيف شاخت) فجعل السنة وليدة البيئة والمجتمع الإسلامي وعمل الخلفاء، وأنها ليست عملاً ثابتاً في القرنين الأول والثاني، حتى جاء الإمام الشافعي، ونادى بحجية السنة، وشن الغارات على منكريها، وهذا محض افتراء، لأن الجهل لغة: نقيض العلم. يقال جهل فلان جهلاً وجهالة، والجهالة: أن تفعل فعلاً بغير العلم، ومنه المَجَاهِلُ جمع مَجْهَلٍ.

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية (٧/ ٣٣٠).

قال مضرس بن ربعي:

إنا لَنصفَحُ عن مَجَاهِـلِ قومِنـا
ونُقيمُ سالِفَةَ العـدوِّ الأصيـدِ(١)

وقال الراغب: الجهل على ثلاثة أقسام:

١- خلو النفس من العلم، ومثاله: قول خولـة بنـت حكيـم امـرأة عثمان رضي اللّه تعالى عنهمـا، قـالت: خـرج رسـول اللّـه ﷺ ذات يوم، وهو محتضن أحد ابني ابنته، وهو يقـول: **(واللّـه إنكـم لتُجبِّنـون وتُبخِّلون وتُجهِّلون؛ وإنكم لمن ريحان اللّه)**(٢) أي: يُشغَل بهـم الآبـاء عن طلب العلم.

٢- اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه، مثاله: "إن من العلم جهـلاً. قيل: هو أن يتعلم ما لايحتاج إليه من دينه".

---

(١) لسان العرب (١١/١٢٩).

(٢) أخرجه الترمذي (٤/٣١٧) مـن حديـث سـفيان بـن عيينـة، عـن إبراهيـم بـن ميسرة، قال: ابن أبي سويد، سمعت عمر بن عبد العزيـز يقـول: زعمـت المرأة الصالحة خولة بنت حكيم فذكر الحديث.

قال الترمذي: حديث ابن عيينة عن إبراهيم بن ميسرة لا نعرفه إلا من حديثـه، ولا نعرف لعمر بن عبد العزيز سماعاً من خولة. انتهى.

٣- فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل، سواء اعتقد فيه اعتقاداً صحيحاً أم فاسداً، كقوله تعالى: ﴿**أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾ [سورة البقرة:٦٧]. فجعل فعل الهزو جهلاً.

وقد يأتي الجهل بمعنى ضد الخبرة، كقوله تعالى: ﴿**يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ**﴾ [سورة البقرة:٢٧٣] أي: الذي ليس عنده خبرة[١].

هذه هي معاني كلمة الجاهلية، فهل يستطيع (جولد زيهر) ومن معه أن يطبق هذه المعاني على السنة النبوية؟ فالمتبصر الدقيق يجد الفرق بينهما بيناً باعتبار التضاد والتناقض. وقد جاء الحذر من اتباع السنن الجاهلية في مواطن كثيرة.

قال تعالى: ﴿**يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ**﴾. [سورة آل عمران:١٥٤].

وفي صحيح البخاري عن نافع، عن جبير بن مطعم، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: (**أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية، ومُطلب دم امرئ بغير حق**

(١) انظر المفردات للأصبهاني، مادة الجهل.

ليهريق دمه)[١].

وقوله: سنة الجاهلية: أي بقاء سيرة الجاهلية أو إشاعتها أو تنفيذها.

وفي مسند الإمام أحمد عن أبيٍّ بن كعب قال: قال رسول اللّه ﷺ: **(من تعزى بعزاء الجاهلية فأعِضُّوه ولا تَكْنُوا)**[٢].

وفي مسلم وأحمد عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول اللّه ﷺ: **(أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة)**[٣].

ومن هذا الباب ما أخرجه البخاري عن عمرو بن دينار قال: سمعت جابر بن عبد اللّه رضي الله عنه قال: كنا في غزاة فكسع رجل من

---

(١) صحيح البخاري (١٢/٢١٠).

(٢) أحمد في مسنده (٥/١٣٦) واللفظ له، والنسائي في الكبرى (٥/٢٧٢)، والطبراني في الكبير (١/١٦٧)، وقال الهيثمي في المجمع: رجاله ثقات، وفي رواية: فأعِضّوه بِهَنِ أبيه، أي قولوا له: اعْضَضْ بأيْر أبيك ولا تكْنُوا عن الأيْر بالهَنِ تنكيلا له وتأديبا. انظر النهاية (٣/٢٥٢).

(٣) مسلم (٢/٦٤٤)، وأحمد (٢/٥٢٦).

المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصار: يا للأنصار، وقال المهاجرون: يا للمهاجرين، فسمع ذلك رسول اللّه ﷺ فقال: (**ما بال دعوى جاهلية؟**) قالوا: يا رسول اللّه! كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال: (**دعوها فإنها منتنة**)[١].

ومنه قول النبي ﷺ لأبي ذر: (**إنك امرؤ فيك جاهلية**)[٢].

وأخرج أبو داود عن أبي هريرة قال: قال رسول اللّه ﷺ: (**إن اللّه قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء، مؤمن تقي وفاجر شقي، أنتم بنو آدم، وآدم من تراب، لِيَدَعَنَّ رجال فخرهم بأقوام، إنما هم فحم من فحم جهنم، أو ليكونن أهون على اللّه من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن**)[٣].

وأخرج مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول اللّه ﷺ: (**من**

---

(١) البخاري (٨/٦٤٨).

(٢) البخاري (١٠/٤٦٥).

(٣) أبو داود (٥/٣٣٩-٣٤٠)، والترمذي (٥/٧٣٤) كلاهما عن هشام بن سعد، عن أبي سعيد المقبري، عن أبيه عنه. قال الترمذي: "حسن غريب"، وعُبِية -بضم العين وكسرها- الكبر والنخوة.

خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية)[١].

وغيرها من الأحاديث المروية في كتب السنة التي لا تُعدُ ولا تُحصى، تدل على تقبيح أمور الجاهلية وذمها. وبالتالي تقتضي المنع من اتباعها وقد قسم العلماء الزمان إلى قسمين:

قسم زمن الفترة قبل الإسلام يسمى: فترة الجاهلية. وهي الحال التي كانت عليها العرب قبل الإسلام من الجهل بالله ورسوله وشرائع الدين والمفاخرة بالأنساب.

وقسم: فترة الإسلام، وهو زمن بزغت فيه شمس الإسلام، وأشرقت الأرض بنور ربها، وخرج الناس من الجاهلية الجهلاء إلى هدى الله وشرعه.

فهل يعقل بعد هذه النصوص البينة أن يكون اتباع السنة النبوية من باب التقاليد الجاهلية؟ تعالى الله عما يقولون.

نعم. هناك أمر ضروري لابد أن ننبه عليه، ولو بعبارة موجزة، وهو أن الإسلام لم يأت بدين جديد مطلقاً يخالف دين الأنبياء والمرسلين، بل جاء بالملة الحنيفية السمحة التي حرَّفها أهل الزيغ

---

(١) مسلم: في الإمارة (٥٣).

والضلال، وقد أمر اللّه تعالى خاتم الأنبياء محمد بن عبـد اللّـه صلوات اللّه وسلامه عليه أن يعلن ذلك فقال:

﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعاً مِّنَ الرُّسُلِ﴾ [سورة الأحقاف:٩].

وقال تعالى: **﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾** [سورة الأنعام:٩٠].

وقـال تعـالى: **﴿يَحْكُـمُ بِهَا النَّبِيُّـونَ الَّذِيـنَ أَسْـلَمُوا﴾** [سـورة المائدة:٤٤]، وغيرها من الآيات.

فالأنبياء دينهم واحد، وإن كانت شرائعهم مختلفة كما قال تعـالى: **﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُم شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً﴾** [سورة المائدة:٤٨].

وفي حديـث همـام بـن منبّـه عـن أبـي هريـرة رضي الله عنه قـال: قـال رسـول اللّـه ﷺ: (**أنـا أولى النـاس بعيسـى بـن مريـم، في الأولى والآخرة**) قالوا: كيف يا رسول اللّه: قال: (**الأنبياء أخوة من علاّت، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد، فليس بيننا نبي**)[1].

---

(١) أخرجـه مسـلم -الفضـائل (١٨٣٧/٤) واللفـظ لـه، وأخرجـه البخـاري في الأنبياء- عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة مختصراً (٤٧٧/٦).

وأما موقف الإسلام من أمور الجاهلية وعاداتها

فنقول بعون اللّه تعالى: إن العرب في الجاهلية لم يكن عندهم قانون مدون، ولا قواعد معروفة يرجعون إليها كبقية الشعوب في العالم إلا ماحصل عندهم من العرف والتقاليد والتجارب والمعتقدات المحرفة من اليهودية والنصرانية، فجاء الإسلام وأقرها بعضاً، وأنكر على بعض، وعدل بعضاً آخر.

ومثال ما أقره الإسلام: **القَسَامَةُ**.

أخرج مسلم عن رجل من أصحاب النبي ﷺ: أن رسول اللّه أقر القسامة على ما كانت عليه في الجاهلية، وقضى بها بين أناس من الأنصار[١].

وصوم يوم عاشوراء: أخرج الشيخان عن ابن عباس أن رسول اللّه ﷺ قدم المدينة، فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء، فقال لهم رسول اللّه ﷺ: **(ما هذا اليوم الذي تصومونه؟)** قالوا هذا يوم عظيم أنجى اللّه فيه موسى وقومه، وأغرق فيه فرعون وقومه

---

(١) مسلم: في القسامة (٧).

فصامه موسى شكراً لله، فنحن نصومه تعظيماً لـه، فقـال رسـول اللّـه ﷺ: (**فنحن أحق بموسى منكم، فصامه رسول اللّه ﷺ: وأمر بصيامه**)[١].

وأمر الإسلام بإكرام الضيف، وصلة الرحم، وحمل الكلّ، ومؤازرة ابن السبيل، والغسل من الجنابة، والاختتان وغيرها، التي كانت تعتبر من مزايا الجاهلية، فأبقاها الإسلام.

ويروى أن أبا ذر كان يصوم ويصلي قبل أن يقدم إلى النبي ﷺ بثلاث سنين[٢].

وكذلك قس بن ساعدة الإيادي.

وكان أهل الجاهلية يحجون بيت اللّه الحرام، ويعظمون شعائره، وكان فيهم من يوحد اللّه، مثل: ورقة بن نوفل الأسدي من أسد بن عبد العزى، وزيد بن عمرو بن نفيل العدوي من عدي بن كعب، وعثمان بن الحويرث الأسدي من أسد بن عبد العزى، وهؤلاء من قريش، وعبيد اللّه بن جحش الأسدي من أسد بن خزيمة من حلفاء قريش، يروى أنهم اجتمعوا مرة يوم عيد لأحد أصنامهم، فقالوا: نعلن

---

(١) البخاري: الصوم (٦٩).

(٢) مسلم: فضائل الصحابة، من فضائل أبي ذر.

والله ما قومكم على شيء، لقد أخطؤوا دين أبيهم إبراهيم، هذا حجر لا يبصر ولايضر ولا ينفع، يا قوم! التمسوا لأنفسكم؛ فإنكم -والله- ما أنتم على شيء"[١].

وكان عمرو بن لحي الخزاعي سار إلى بلاد الشام، ورأى ما يفعله أهلها من تعظيم التماثيل والتقرب بها، فمالت نفسه إلى الاقتداء بهم، فأخذ بعض هذه التماثيل، وأقامها على الكعبة التي كان هو من سدنتها، ودعى العرب إلى تعظيمها فأجابوه، ورآه رسول الله ﷺ بعد ذلك يجر قصبته (أمعاءه) في النار، وقال: (**إنه كان أول من غير دين إسماعيل: فنصب الأوثان، وبحّر البحيرة، وسيَّب السائبة، ووصل الوصيلة، وحمى الحامي**)[٢].

ومن هنا تتضح لنا بعض الأمور التي أقرها الإسلام كما كانت في الجاهلية، كما أقر منها البعض الآخر بعد الإصلاح والتعديل كالحج

---

(١) البداية والنهاية (٢/٢٣٨).

(٢) ابن هشام (١/٧٩)، وأخرجه أحمد (٢/٣٦٦) عن الخزاعي، أنا ليث بن سعد، عن يزيد بن الهاد، عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة رضي الله عنه مختصراً ورجاله ثقات.

وغيره، وإلى هذا يشير قوله تعالى: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ [سورة الحج:٧٨]. -

وقوله ﷺ: (**بعثت بالملة السمحة الحنيفية البيضاء**).

وأما الأمور التي ألغاها الإسلام وأنكرها فهي كثيرة جداً يطول بنا القول لو ذكرناها في العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق والزواج والطلاق والحرب والقتال وغيرها، ارجع إلى رسالة مسائل الجاهلية للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى.

هذا هو موقف الإسلام الصحيح من الجاهلية. وبقي الأمر هكذا دهوراً حتى جاء عصر العلوم الحديثة، وأفاقت أوروبا من غفلتها في القرن الثامن والتاسع عشر الميلادي، ونظرت إلى الأمة الإسلامية نظر غضب ظانة منها بأنها أوقفتها دهوراً من هذا التقدم، وأرادت أن تنتقم من المسلمين فظهرت منهم طائفة تتعلم العلوم الشرقية بما فيها العلوم الشرعية ومصادرها. وزعمت هذه الطائفة من المستشرقين أن السنة ليست لها قيمة شرعية في الإسلام، وإنما هي من قبيل اتباع العادات الجاهلية التي أبقاها الإسلام تطييباً لخواطرهم، وتعظيما لتقاليدهم، وتبعهم في ذلك بعض الفرق المنشقة عن الإسلام وهم منكرو السنة وأعداء الإسلام في شبه القارة الهندية وبعض الدول

الإسلامية. وهم بدون شك زنادقة هذه الأمة يجب تقديمهم للمحاكمة.

وأما الإسلام بعقائده وأحكامه، وأوامره ونواهيه فتام أكمله اللّه تعالى وأوحاه إلى رسوله للتبليغ من غير احتياج إلى اتباع العادات والتقاليد. قال اللّه عزوجل:

﴿إِذ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَه عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الفتح:٢٦].

ودعوى شاخت وغيره من المستشرقين بأن الشافعي أول من دعا إلى السنة فنقول:

لم يُعرفْ أحدٌ من الأئمة من قال بعدم حجية السنة وتشهد لذلك كتب الحديث والفقه وتاريخ المسلمين وعمل الأمة المستمر إلى يومنا هذا.

قال الحافظ ابن عبد البر: "ولم نجد أحداً من علماء الأمة أثبت حديثاً عن رسول اللّه ﷺ ثم رده إلا بحجة، كادعاء نَسْخٍ بأثرٍ مثله، أو بإجماع، أو بعمل يجب على أصله الانقياد إليه، أو طعنٍ في سند. لو رَدَّه أحد من غير حجة لسقطتْ عدالتُه فضلاً عن إمامته، ولزمه اسم

الفسق، ولقد عافاهم اللّه من ذلك".

إلا أنه قد يلحق بعض الأعذار في قبول حديث من الأحاديث لأسباب بينها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللّه تعالى في رسالته: "رفع الملام عن الأئمة الأعلام"، وقال: جميع الأعذار ثلاثة أصناف: أحدها: عدم اعتقاده أن النبي ﷺ قاله، والثاني: عدم اعتقاده إرادة تلك المسألة بذلك القول، والثالث: اعتقاده أن ذلك الحكم منسوخ، ثم فرَّعَ الأسباب على تلك الأصناف فجعل السبب الأول هو أن لا يكون الحديث قد بلغه، ومن لم يبلغه الحديث لم يُكلّف أن يكون عالماً بموجبه، كما حصل لعمر وابنه، فإنهما كانا ينهيان المُحْرِم عن الطِّيبِ قبل الإفاضة إلى مكة بعد رمي جمرة العقبة، ولم يبلغهما حديثُ عائشة رضي اللّه عنها أنها طَيَّبَتْ رسول اللّه ﷺ لحرمه قبل أن يُحْرِم، ولحلّه قبل أن يطوف، وغيره من الأمثلة الكثيرة التي ذكرها شيخ الإسلام[1] رحمه اللّه تعالى، وإلى هذا أشار الإمام الشافعي في قوله: **(لو صحّ حديث لحوم الإبل قلتُ به)**، ذكره الإمام البيهقي رحمه اللّه[2].

---

(١) انظر: رفع الملام (ص١).

(٢) انظر تخريجه المفصل في السنن الصغرى بتحقيقي رقم (٣٦).

وهذه الأعذار إن لحقت بالأئمة المتبوعين فلا عذر لأتباعهم بعدما دونت الجوامع والسنن، وعرف الصحيح منها والضعيف، وما كان منها الناسخ والمنسوخ، وما كان معمولاً به عند الصحابة والتابعين وأجمعت الأمة على قبولها، وأدلتها واضحة في الكتاب والسنة، أن يتركوها بحجة واهية أنه مخالف للكتاب، أو للقياس الجلي، أو فيه كذا وكذا من الإشكالات، سبحان اللّه وهل كلام الرسول المعصوم ﷺ يخالف كتاب اللّه وهو أعلم بمراده، وهل كلامه ﷺ يخالف القياس وهو ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى؟.

فكيف يخالف الوحيُ الوحيَ، لأنه من المعلوم أن أحدهما بيان للآخر وتفسير له، وزيادة عليه لقوله ﷺ **(إني أوتيت القرآن ومثله معه)**. قال الشافعي رحمه الله: "ويعلمون أن اتباع أمره طاعة الله، وأن سنته تبع لكتاب الله فيما أنزل، وأنها لا تخالف كتاب الله أبداً"[(١)].

ولِلّه در الإمام الخطابي رحمه اللّه تعالى فقد قال:

"والحديث إذا صحَّ وثبت عن رسول اللّه ﷺ فليس إلا التسليم له، وكل حديث أصل برأسه، ومعتبر بحكمه في نفسه، فلا يجوز أن

---

(١) الرسالة (رقم ٤١٩).

يعترض عليه بسائر الأصول المخالفة، أو يتذرع إلى إبطاله بعدم النظير له، وقلة الاشتباه في نوعه، وههنا أحكام خاصة وردت بها أحاديث فصارت أصولاً كحديث الجنين وحديث القسامة والمصراة"[1].

فيا أخي المسلم احرص كل الحرص على اتباع سنة رسول الله ﷺ ما ثبت من قوله وفعله وتقريره، فإن في الاتباع الفوزَ في الدنيا والآخرة والنجاةَ من النار.

وأما العقيدة الصحيحة: فهي التي جاء بها القرآن، ونطق بها سيد المرسلين، وأخذ بها الصحابة الكرام، وتلقاها عنهم التابعون، وأتباعهم إلى أن وصلت إلينا صافية نقية وكأنها نزلت اليوم، وهي عقيدة سلف هذه الأمة. ومن أجلِّ من جاهد في سبيل ترسيخها، إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى وسار على نهجه شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه الحافظ ابن القيم، ثم الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، بمؤازرة الأمير الراشد التقي الإمام محمد بن سعود الذي كان له فضل كبير بعد الله سبحانه وتعالى في نشر دعوة الشيخ رحمهم الله جميعاً، وهذا التعاون بين العلم والدولة، وبين الدعوة والسلطة لا يزال مستمراً، وسيستمر بإذن الله لأجل خدمة الإسلام

---

(١) معالم السنن (٣/٧٩٠).

والمسلمين ونصرة لقضاياهم في أنحاء العالم.

ويسير على نهج هؤلاء الأئمة الأفاضل آلافُ العلماء في الشرق والغرب، ويدين بهذه العقيدة الملايين من المسلمين في شتى بقاع الأرض.

وخلاصتها: الإيمان بما جاء عن اللّه عزوجل في كتابه العظيم من صفات اللّه تعالى مثل قوله تعالى: ﴿**الرَّحْمن عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ [سورة طه:٥] وقوله تعالى: ﴿**اللَّهُ الَّذي رَفَع السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتوى عَلَى الْعَرْشِ**﴾ [سورة الرعد:٢] وقوله تعالى: ﴿**إِلَيهِ يَصعد الكَلم الطَّيب وَالْعَمَل الصَّالِح يَرفعه**﴾ [سورة فاطر:١٠] وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللّه مَعَ الَّذِينَ اتَّقوا وَالَّذينَ هُم مُّحْسِنُون**﴾ [سورة النحل:١٢٨] وقوله تعالى: ﴿**رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم وَرَضُوا عَنه ذَلِكَ الْفَوز الْعَظِيم**﴾ [سورة المائدة:١١٩] وقوله تعالى: ﴿**وَمن يَقْتل مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّم خَالداً فيها وَغَضِبَ اللّه عَلَيه وَلَعَنَه**﴾ [سورة النساء:٩٣] وقوله تعالى: ﴿**قُل إِنْ كُنتُم تُحِبُّونَ اللّه فَاتَبِعُوني يُحْبِبكُمُ اللّه**﴾ [سورة آل عمران:٣١] وقوله تعالى: ﴿**رَبَّنَا وَسعت كُلّ شيء رحمة وعلماً**﴾ [سورة غافر:٧] وغير هذه الآيات في صفات اللّه تعالى وهي كثيرة جداً.

ثم الإيمان بما جاء في سنة رسول اللّه ﷺ الصحيحة التي تلقاها أهل المعرفة بالقبول مثل قول النبي ﷺ: (**ينزل ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فاستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟**) متفق عليه، ومثل قول النبي ﷺ: (**اللّهُ أشد فرحا بتوبة عبده المؤمن التائب من أحدكم براحلته -الحديث**) متفق عليه. ومثل قوله ﷺ: (**يضحك اللّه إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة**) متفق عليه. ومثل قوله ﷺ: (**لا تزال جهنم يلقى فيها وهي تقول: هل من مزيد؟ حتى يضع ربُ العزة فيها رجله**) وفي رواية (**عليها قدمه فينزوى بعضها إلى بعض فتقول: قط قط**) متفق عليه. ومثل قوله ﷺ للجارية: (**أين اللّه؟ قالت: في السماء. قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول اللّه، قال: اعتقها فإنها مؤمنة**) رواه مسلم، ومثل قوله ﷺ: (**إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر، لاتضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس، وصلاة قبل غروبها فافعلوا**) متفق عليه. وغير هذه الأحاديث التي يخبر فيها رسول اللّه ﷺ عن ربه عزوجل فإن أهل السنة والجماعة -الفرقة الناجية يؤمنون بها كما يؤمنون بما أخبر اللّه

تعالى عن نفسه في كتابه من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِير﴾ [سورة الشورى: ١١] فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ولايحرفون الكلم عن مواضعه، ولايلحدون في أسماء اللّه وآياته، ولا يكيفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه. انظر تفصيل ذلك في العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام.

وأتمثل في ذلك بقول الناظم العلامة المحدث الحافظ أبي طاهر السِلَفي رحمه اللّه تعالى (ت٥٧٦هـ).

فهـذا مـا أديـن بـه إلهي تعـالى عـن شبيـه أو مثالِ

وما نافاه من خُدَعٍ وزُوْرٍ ومن بِدَعٍ فلم يَخْطُر ببالي[1]

وكذلك يؤمن أهل السنة والجماعة بأحاديث أشراط الساعة الكبرى والصغرى، وأحاديث الملكين -المنكرو النكير، وأحاديث عذاب القبر ونعيمه، وأحاديث إثبات شفاعة النبي ﷺ الكبرى وغيرها، وأحاديث أمور الآخرة وتفصيلاتها، وأحاديث نعيم الجنة وعذاب النار، وأحاديث إثبات القضاء والقدر، وغيرها من شعب

---

(١) انظر سير أعلام النبلاء (٢١/٣٦) وهذان البيتان من نظم طويل.

الإيمان التي جاء ذكرها في الأحاديث الصحاح.

فإذا سأل أحد عن مصادر العقيدة؟

فالجواب: أحسن كتاب في تعليم العقيدة كتاب اللّهِ عزوجل، ثم كتب الحديث من الصحيحين والسنن الأربع وغيرها.

ثم الكتب المؤلفة في العقيدة. فمن أحسنها كتاب التوحيد للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه اللّه تعالى وشرحه لحفيديه الشيخ سليمان ابن عبد اللّه بن محمد، والشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد وهما تيسير العزيز الحميد، وفتح المجيد، وكتاب الإيمان، والقاعدة الجليلة في التوسل والوسيلة، والعقيدة الواسطية، والتدمرية، والحموية، وهذه الخمسة لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللّه تعالى.

ومن ذلك: الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطّلة، واجتماع الجيوش الإسلامية، والقصيدة النونية، وإغاثة اللهفان من مكائد الشيطان، وكل هذه الكتب الخمسة للعلامة ابن القيم رحمه اللّه تعالى.

ومن ذلك: شرح الطحاوية لابن أبي العز، ومنهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية، واقتضاء الصراط المستقيم له أيضاً، وكتاب التوحيد لابن خزيمة، وكتاب السنة لعبد اللّه بن الإمام أحمد، والاعتصام للشاطبي، وغيرها من كتب أهل السنة المؤلفة في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة.

ومن أجمع ذلك فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، والدرر السنية في الفتاوى النجدية، جمع العلامة الشيخ عبد الرحمن بن قاسم رحمه الله تعالى[(١)].

وثمة عشرات من الكتب المؤلفة في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة من أقلام العلماء الأفاضل المعتمدين على الكتاب العزيز والسنة النبوية الصحيحة في كل قطر وعصر.

فإذا قال أحد: نأخذ العقيدة بما ثبت في الكتاب ولا نأخذها بما جاء في السنة، فيقالِ: الذين نقلوا إلينا السنة هم الذين نقلوا إلينا الأحكام من الحلال والحرام، وعِلمَ الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد وغيرها. فكما قبل العلماء منهم تلك الأحكام قبلوا منهم العقائد التي ثبتت بالسنة.

يقول شريك: وإنما عرفنا الله عزوجل بهذه الأحاديث.

ومن المعلوم أن معظم هذه الأخبار عن أحاديث الصفات والغيبيات لم تثبت إلا بأخبار الآحاد وأن السلف لم يترددوا في قبولها.

بل أكثر من هذا أن الصحابة ربما تثبتوا في بعض أحاديث الأحكام

---

(١) هذا ملخص ما أجاب به سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز حفظه الله تعالى في سؤال وجه إليه عن كتب العقيدة. انظر: فتاوى مهمة تتعلق بالعقيدة (ص٥٤-٥٥).

حتى يستظهروا بآخر كما استظهر أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ برواية محمد بن مسلمة على رواية المغيرة بن شعبة في توريث الجدة، وكما استظهر عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ برواية أبي سعيد الخدري على خبر أبي موسى الأشعري رضي اللّه عنهم جميعاً، ولم يطلب أحد منهم الاستظهار في رواية أحاديث الصفات البتة، وبل كانوا أعظم مبادرة إلى قبولها وتصديقها، والجزم بمقتضاها(١).

هذه بعض أصول أهل السنة والجماعة، الفرقة الناجية والطائفة المنصورة، في التمسك بالسنة في العقائد والأحكام.

وأما من انحرف عن هذه العقيدة فبسبب بعدهم عن مصدرها الأصلي من الكتاب والسنة، وتنكُّبهم عن طريقَة السلف الصالح في فهم أصول الدين. فكثرت الفِرَق، وتباينت عقائدها مثل **الخوارج** الذين أعلنوا بتكفير كل مرتكب للكبيرة، وكفروا علياً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأصحابه، **والشيعة** الذين ادَّعوا حب علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وغلوا فيه فجعلوه في مقام الألوهية، **والجهمية** من أتباع جهم بن صفوان السمرقندي الذين نفوا جميع صفات اللّه تعالى وأسماءه، وجعلوه

(١) انظر مختصر الصواعق المرسلة (ص٤٧٤).

الوجودَ المُطْلق[١]، وجهم هذا أخذ مقالته من الجعد بن درهم، وهو أخذها عن لبيد بن الأعصم اليهودي الساحر الذي سحر النبي ﷺ.

والمرجئة الذين ادعوا أنه لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وأن العمل ليس من الإيمان، **والقدرية** الذين نفوا القدر وهم مجوس هذه الأمة كما جاء في السنن عن ابن عمر بإسناد

---

(١) ونجد هذا التصور بأكمل صوره عند الهندوس فإنهم جردوا اللّه سبحانه وتعالى من جميع الصفات، وجعلوه كالمعدوم ويسمونه "نِرَنْكَار" وهذا التصور المضلل أدَّاه إلى القول بوحدة الوجود. وكان "شَنْكَر اَجَارِيَا" المولود سنة ٧٧٨م وهو من كبار شُرَّاح "الفِيدَانْتَ" أول من دعا إلى هذه العقيدة الفاسدة، وأقام الأدلة والبراهين لها من "الفِيدَانْتَ"، وتأثر به المتصوفون في الهند والمناطق المجاورة لها. كما كان لبعض رؤساء المتصوفين رحلات إلى الهند، والاتصال بالرهبان الهندوس والبهكشو البوذيين. انظر مزيداً من التفاصيل في كتابي "فصول في أديان الهند".

دعا الجهمية والمعطلة إلى القول بنفي صفات الله عزوجل تقسيم اللغة إلى الحقيقة والمجاز. وهو شيء لم يكن معروفاً في عهد الصحابة والتابعين وأتباعهم، ولم يقل به أحد من الأئمة الأربعة كما لايوجد في كلام أهل اللغة في القرون المشهود لها بالخير، فالواجب في ذلك الإنكار أن يكون في اللغة مجاز ولاسيما في القرآن الكريم والأخبار الواردة في العقيدة.

انظر مزيداً من التفاصيل في "الصواعق المرسلة" للحافظ ابن القيم رحمه الله تعالى.

حسن، **والجبرية** الذين غلوا في إثبات القدر وقالوا: إن العبد مجبور محض، **والمعتزلة** من أتباع واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد وغيرهما الذين ألَّهوا العقل وجعلوه حاكماً على النقل، وآثار أفكارهم لاتزال باقية إلى اليوم في الأمة، ومنهج تفكيرهم جارٍ في كثير من الكتّاب المعاصرين، **والأشعرية** الذين أثبتوا لله بعض الصفات ونفوا عنه البعض الآخر، وكل هؤلاء ابتعدوا عن الحق بقدر بُعدهم عن العقيدة الصحيحة التي كان عليها النبي ﷺ وخيار هذه الأمة من الصحابة والتابعين، ومن سار على منهجهم إلى يومنا هذا، وستبقى هذه العقيدة صافية نقية إلى يوم الدين، أسأل اللّه سبحانه وتعالى الذي هداني إلى نور الإسلام والإيمان، وعلمني القرآن والحكمة والبرهان أن يجعلنا منهم. ﴿**رَبَّنَا لاَ تزِغْ قُلُوبنَا بَعْدَ إِذ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَابُ**﴾ [سورة آل عمران:٨].

وصلى اللّه على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين. والحمد للّه أولاً وآخراً.

محتويات الكتاب

المحتويات — الصفحة

المقدمة ________ ٥

وجوب طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ________ ٧

. إطاعة الرسول هي إطاعة الله عزوجل ________ ٧

. تقسيم الشافعي لوجوه كتاب الله ________ ٥ ٨

. وجوب تحكيم الرسول صلى الله عليه وسلم ________ ١٠

. قول عمر رضي الله عنه: ردّوا الجهالات إلى السنة ________ ١١

. مبايعة رسول الله صلى الله عليه وسلم هي مبايعة الله عزوجل ١٢

. السنة قاضية على كتاب الله عزوجل ________ ١٢

. أوتي النبي صلى الله عليه وسلم القرآن ومثله معه ________ ١٣

. وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ________ ١٤

. قول ابن رجب في التمسك بالسنة عند الافتراق ________ ١٥

. السنة حجة بنفسها ________ ١٦

. معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: نضّر الله عبداً ________ ١٦

من عقيدة أهل السنة والجماعة طاعة أولي الأمر ــــ ١٨

• معنى الطاعة ــــــــــــــــ ١٨

• دلالة الكتاب والسنة على وجوب طاعة أولي الأمر ــــ ١٨

• قول إمام أهل السنة البربهاري فيمن يخرج على الإمام ــــ ١٩

• قول الإمام الطحاوي في عقيدة أهل السنة والجماعة ــــ ١٩

• قول فضيل بن عياض في الدعاء لولي الأمر ــــــ ٢٠

• معنى الجماعة ــــــــــــــــ ٢٠

• متى يجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ــــــ ٢١

معنى السنة عند المحدثين والفقهاء ــــــ ٢١

• السنة لغة ــــــــــــــــ ٢١

• الحث على إحياء السنة ونشرها ــــــــ ٢٢

• السنة اصطلاحاً ــــــــــــــ ٢٤

• السنة عند المحدثين ــــــــــــ ٢٦

• السنة عند الفقهاء والأصوليين ــــــــ ٢٨

حرص الصحابة على العمل بالسنة والتثبت فيها ــــ ٣٠

• النبي صلى الله عليه وسلم كان أعلم الناس بمقاصد القرآن ٣٠

• الرحلة في سماع الحديث للتأكد من صحته ــــــ ٣١

. الإنكار على من يكتفي بما في القرآن ـــــــــ ٣٣
. كان أبو بكر رضي الله عنه أحرص الناس على العمل بالسنة ٣٥
. إشهاد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب على السنة ـــــــ ٣٦
. ظهور علم الجرح والتعديل ـــــــــ ٣٧
. أهل السنة وأهل البدعة ـــــــــ ٣٨
. إذا صحّ الحديث يجب الاعتقاد والعمل به ـــــــ ٤٠
. الإنكار على من يثير الخلاف باسم التحقيق العلمي ـــــ ٤١

كتب الحديث والسنة تحتوي على قسمين أساسيين ـــ ٤١

. معنى السند والمتن ـــــــــ ٤١
. تقسيم السنة إلى متواتر وآحاد ـــــــــ ٤٢
. السنة بقسميها تفيد العلم في العقيدة والعمل ـــــــ ٤٣
. حجية أخبار الآحاد ـــــــــ ٤٣
. علم الرواية مبني على السماع والمشاهدة ـــــــ ٤٣
. دعوى شاخت بأن الشافعي أول من دعا إلى حجية السنة ـ ٤٤
. تضعيف الأحاديث الواردة في العرض على الكتاب ـــــ ٤٥
. معنى قول عمر بن الخطاب: حسبنا كتاب الله ـــــ ٤٦
. الإنكار على جولدزيهر في معنى السنة ـــــ ٤٧

. الجهل نقيض العلم ________ ٤٨

. التحذير من اتباع عادات الجاهلية ________ ٥٠

موقف الإسلام من أمور الجاهلية وعاداتها ________ ٥٥

. ما أقره الإسلام ________ ٥٥

. ما أنكر عليه الإسلام ________ ٥٨

. الأعذار التي تلحق بالأئمة في ترك الحديث ________ ٦٠

. إذا صح الحديث فليس إلا التسليم ________ ٦٠

العقيدة الصحيحة ________ ٦٢

. العقيدة الصحيحة هي ما نزل بها القرآن ونطق بها صلى الله عليه وسلم ________ ٦٢

. خلاصة العقيدة ________ ٦٣

. الكتب المؤلفة في العقيدة ________ ٦٦

. الفرق التي انحرفت عن العقيدة الصحيحة ________ ٦٨

. صلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

مطابع ابن تيمية بالقاهرة

هاتف ٨٦٤٢٤٠ / ٨٣٤٦٤٨ / ٠١١